الفصل الخامس

بين الزبور والمزامير

ما يزال الغموض يلف الزبور الذي أنزله الله وآتاه للنبي داود عليه السلام. وبسبب من عدم ورود تفاصيل حول هذا الكتاب المسمى بالزبور فقد زهد المفسرون والباحثون في العودة إلى البحث عنه أو عن مضمونه إن كان ذلك في أحاديث رسول الله ﷺ أو كان في كتب المفسرين والمؤرخين.

ومما زاد في الإشكال وجود ما يسمى بالمزامير المدونة في كتاب العهد القديم ـ التوراة ـ فهذه المزامير اعتبرها اللاهوتيون شعراً أنشده داود عليه السلام خلال حياته وأضيف إلى ما أنشده مزامير نُسبت إلى ابنه سليمان عليه السلام وإلى قورح وغيرهما من الشخصيات الدينية في بني إسرائيل.

ولعل هذا ما يدفع بنا إلى دراسة الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم الزبور ودراسة ما نُسب إلى داود عليه السلام من أقوال حتى نستطيع معرفة مضمونه ووضعه في مقابلةٍ موضوعية مع المزامير التي نسبت إلى داود وغيره من بني إسرائيل.

وبداية الأمر لابد لنا من طرح عشرات الأسئلة حتى تكون لنا مقدمة تفتح أمامنا أفق الإجابة والإحاطة بالموضوع من كافة جوانبه.

1 ـ ما علاقة الزبور بالتوراة؟.

2 ـ هل الزبور كتاب تشريع أم كتاب أدعية ومواعظ وحكم؟.

3 ـ ما الكتاب الذي اعتمده داود عليه السلام في تطبيق التشريع والقضاء؟.

4 ـ هل أنزل الزبور أم آتاه الله لداود دفعة واحدة كما هو كتاب موسى؟.

5 ـ ما رأي السنة الشريفة في الزبور وهل هناك إشارات له ولمحتواه..

6 ـ أين هو الزبور الآن. هل هو موجود أم أُخفي أم اندثر؟.

7 ـ ما هي المزامير، هل هي تأليف بشري أم وحي إلهي..

8 ـ هل هي أناشيد وغناء أداها داود عليه السلام حسب ما تقتضيه الحالة الشعرية والوضع النفسي والموضوعي؟.

9 ـ لماذا تُنسب المزامير إلى داود وسليمان وقورح وغيرهم؟.

10 ـ ماذا تحوي هذه المزامير وهل هناك تقاطعات مع عقيدة التوحيد كما علّمناها من القرآن الكريم؟.

11 ـ لماذا يضمها اليهود العبرانيون في كتاب التوراة ـ العهد القديم ـ ويرفضها اليهود السامريون؟.

الزبور في القرآن الكريم والسنة الشريفة

وردت كلمة زبور في القرآن الكريم ثلاث مرات وهي مرتبطة بالنبي داود ﷺ يقول تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء 163].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء 105].

وقد جاءت الآية الأولى في سياق الحديث عن عدد كبير من الأنبياء وذلك في قوله: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء 163].

ويقول تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء 55].

والزبور اسم الكتاب الذي أنزل على داود ﷺ وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، بل فيها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ. وكان داود ﷺ يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم علماء بني إسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطيور على رؤوس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها، فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك أنس الطاعة. وهذا ذل المعصية[1].

وقال المفسرون: إن الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لهذا خصه بالذكر.

---

(1) محمد طه الدرة. تفسير القرآن وبيانه وإعرابه - الجزء 3 - ص182.

وقد وردت الزبور معرفة بأل في سورة الأنبياء، وجاءت نكرة في سورتي الإسراء والنساء. وعليه فقد قال المفسرون: إن المقصود في الآية ولقد كتبنا في الزبور ليس الكتاب الذي آتاه الله لداود إنما المقصود به جميع الكتب التي أنزلت على الرسل، والمراد بالذكر اللوح المحفوظ الذي سجل فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة فيكون المراد بكتابة الزبور نسخ ما فيها من اللوح المحفوظ لأن جميع الكتب السماوية مسجلة في اللوح المحفوظ من قديم الأزل.

وهذا التفسير أسلم للسياق إذ أن تنكير زبور يعني آتينا داود كتاباً وليس الكتاب بحد ذاته، فالزبور مثله مثل أي كتاب أنزله الله سبحانه على أنبيائه.

متى أنزل الزبور على داود عليه السلام؟

الواقع ليس هناك ما يؤكد التاريخ الذي أنزل فيه الزبور على داود عليه السلام. لكن العودة إلى سيرة داود في القرآن الكريم تقرّب لنا هذا التاريخ.

فمن المعروف أن أول ذكر لداود جاء من خلال الحديث عن قتال دار بين طالوت وجالوت، ففجأة يبرز داود عليه السلام في السياق ويقتل جالوت. وقد أجمع المفسرون على أن داود عندما قتل جالوت كان فتى أو في مقتبل الشباب، ولم يكن لصغر سنه قد أوتي النبوة، وبالتالي لم يكن الزبور قد أنزل عليه. ونستطيع أن نستدل من خلال آيات القرآن الكريم على نبوة داود، وهناك آيات أشارت بصريح العبارة عن نبوته، وعلى الأرجح فإن النبوة التي منحه الله إياها اقترنت بالكتاب الذي آتاه الله له وهو الزبور.

وإذا عدنا إلى النص التوراتي نراه يقول: وكانت المدة التي ملك داود في حبرون على بيت يهودا سبع سنين وستة أشهر. . وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين على جميع إسرائيل ويهودا. وهذا يعني أنه حكم أربعين سنة ونصف قبل أن يموت ويحكم بعده ابنه سليمان.

وتذكر التوراة (أن داود كان ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة) "صموئيل الثاني 5: 4-5".

ويرد في المزامير أن المزمور الثالث جاء تحت عنوان (مزمور لداود حين هرب من وجه أبشالوم) وحين يثور عليه ابنه أبشالوم ويهرب من وجهه يكون على رأس الملك منذ زمن بعيد إذ أن أبشالوم يكون رجلاً.

وإذا افترضنا أن المزامير تتقاطع مع الزبور فإننا نرى أنها ظهرت على لسان داود وقد تجاوز عمره الأربعين عاماً.

ومع أن هذا افتراض فإنه يقول لنا إن داود بدأ بقول المزامير وكان قد تجاوز الأربعين وفي هذا السن كان قد أوتي النبوة.

لقد ملك داود وهو في سن الثلاثين، ولكن الله سبحانه منحه أموراً أخرى بعد أن

آتاه النبوة فشدد ملكه، ومنحه نعمة القضاء بين الناس، وآتاه الحكمة، ثم سخر معه الجبال والطير يسبحون معه، يقول تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ۝ ﴾ [ص 017-020].

فقد اقتضت حكمة الله أن يكون داود نبياً وملكاً وقاضياً وحكيماً وفصيح اللسان. فالنبي له صفات وكذلك الملك، والملك يحتاج للقوة والمنعة فلذلك سُخر له الحديد ليصنع منه الدروع والسلاح وشدد ملكه بمؤهلات مادية واضحة حسب ما جاء في القرآن الكريم والنبوة تحتاج لمؤهلات فلذلك سخر معه الجبال يسبحن معه ربّ العالمين وكذلك الطير.

لقد مُنح داود القيادة والملك بعد طالوت وعندما بلغ الأربعين من عمره كُلف بالرسالة فشدد الله ملكه، وآتاه الحكم والقضاء وسخر له الجبال والطير.

وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن داود عليه السلام قد حكم بكتاب موسى كما أوحى الله به. إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة 44].

فالأنبياء الذين يحكمون للذين هادوا بحكم التوراة هم الأنبياء الذين أتوا بعد موسى، وهم: داود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس وعيسى عليهم السلام وكلهم أنبياء من بني إسرائيل.

وباعتبار أن القضاء والحكم للناس يحتاج لتشريع فكان كتاب التوراة قبل أن تعبث به يد التحريف مصدر ذلك الحكم وذلك التشريع.

وعلى هذا فإن داود عليه السلام عرف كتاب موسى الذي أصبح جزءاً من التوراة الأصلية قبل أن يضيف عليها بنو إسرائيل أسفاراً ليس لها علاقة بها.

ومعرفة التوراة لدى داود سابقة على إتيانه الزبور لأن ما حفظه المؤمنون من كتاب موسى عرفه داود منذ حداثة سنه باعتباره كان يعيش بين ظهراني بني إسرائيل ثم تملك عليهم وهو في سن الثلاثين قبل أن يكلف بالنبوة وقبل أن يُشدد ملكه ويقضي بين الناس.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص 17-20]. ندرك أن أول الآية يشير إلى نبوة داود واستغفاره: (إنه أواب) ثم يأتي القول: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن) وكذلك الطير محشورة. فالجبال والطير مسخرات للتسبيح معه والدعاء. وقد أشارت عدة أحاديث نبوية إلى أن داود كان ينشد ويسبح والطير والجبال تشاركه النشيد، أو تستمع إليه إذ كان صوته جميلاً جداً، وما كان ينشده عبارة عن تسابيح وثناء على الله، وقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة أن هذه التسابيح والثناء وحمد الله هي أحد أوجه كتاب الزبور. وهذا يشير إلى أن الزبور أنزل على داود بعد أن كلف بالنبوة وليس قبلها إذ أن تسخير الجبال والطير لا يصح إلا مع النبوة.

وقد روى ابن كثير في البداية والنهاية أن الله سبحانه وتعالى قد وهب داود من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يُرجع (يردد) بترديده ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله لتعتكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً.

وجاء أيضاً: كان داود عليه السلام يأخذ العزفة (آلة موسيقية) فيضرب بها فيقرأ عليها فترد على صوته يريد بذلك أن يبكي وتبكي.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "سمع رسول الله ﷺ صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود" وهذا على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه من هذا الوجه.

ويروي ابن كثير أن الإمام أحمد وغيره أوردوا أن الزبور أنزل في شهر رمضان وفيه من الحكم والمواعظ ما هو معروف لمن نظر فيه[1].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية ـ المجلد الأول.

وأورد أنه كان يقرأ الزبور بسبعين صوتاً.

وقد ورد في كتاب النيسابوري قوله: "فمنها أنه أنزل عليه الزبور مئة وخمسين سورة، منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل، وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل أبرون، وفي خمسين منها موعظة وحكمة، ولم يكن فيها حلال ولا حرام، ومنها الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والألحان ولم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحناً حيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه"[1].

---

(1) النيسابوري: قصص الأنبياء - ص281.

المزامير كما وردت في التوراة العبرانية

تخلو التوراة السامرية مما يسمى المزامير فهي خمسة أسفار تنسب إلى النبي موسى عليه السلام. ولا يعترف السامريون على هذه المزامير.

والمزامير كما أعدها الآباء اليسوعيون إنطوان أودو ورينيه لافنان وصبحي حموي عام 1980 راعت المبادئ الأدبية؛ منها الأمانة للأصل العبري ونص الترجمة العربية القديمة ولاسيما في استعمال المفردات الكتابية المسيحية المعروفة، والبساطة في اختيار المفردات والمحافظة على الإنشاء العربي التقليدي الذي ما يزال مشتركاً بين جميع البلاد العربية.

وحسب رأي الكنيسة فإن المزامير كلها شعر في العبرية وقد أبرز هذه الصفة الشعرية في صف الأسطر والتعبير عنها باعتماد معقول للتقديم والتأخير والإيقاع والقافية، وقد قرأ الأستاذ حسيب عبد الساتر النص الجديد وأدخل عليه طائفة من التحسينات[(1)].

وسنعود لدراسة ما طرأ على هذه المزامير من تغيير وتبديل وتحسين لنؤكد أنها ليست هي الزبور كما يظن بعض الناس. فإذا كان الله سبحانه قد آتى داود زبوراً فإن هذه المزامير لا تمثل الزبور قطعاً لما فيها من تغيّر وتبدل وتحريف.

في أواسط القرن الثاني قبل المسيح تُرجم النص العبري من المزامير إلى اليونانية لأجل اليهود المشتتين وهي الترجمة التي يقال لها السبعينية. وضع سفر المزامير بين سفر أيوب وأسفار الأنبياء. أما ترقيم المزامير في هذه الترجمة فلا يطابق تماماً ترقيم النص العبري. فهناك مزمور واحد في النص العبري يقسم إلى مزمورين وهذا يتكرر مرتين 116 ـ 147. على عكس ذلك مرتين أيضاً يُدمج مزموراً من المجموعة العبرية في مزمور واحد من الترجمة السبعينية 9 و10 و13 و14.

في المجموعة العبرية مزامير لا عنوان لها، تدخل عليها في الترجمة السبعينية تمهيدات جديدة 84 مزموراً تُنسب إلى داود، وأخرى إلى كتبة مختلفين إلى إرميا وحزقيال وزكريا وحجّاي وبني يوناداب، تضاف إليها أحياناً معلومات غير معروفة عن ظروف تأليف

---

(1) كتاب المزامير ـ دار المشرق ـ بيروت.

المزامير، وللمزامير مكانة خاصة لدى اليهود فهـم يتلونهـا ويرنمونهـا ويتـأملون فيهـا بكـل المناسـبات وفي طقـوس المجمـع اليهـودي وفي منـازلهم. وفي المسـيحية تحتـل المزامـير مكانـة مرموقة يُستشهد بهـا أكـثر مـن مئـة مـرة في الأنـاجيل، وقـد اسـتوحى اليهـود والمسـيحيون المزامير في صلاتهم وحياتهم، وقد ألهمت هذه النصوص الكتابية منـذ زمـن آبـاء الكنيسـة كثيراً من المواعظ والشروح.

وأصحاب الترجمة السبعينية للتوراة يفسرون على طريقتهـم مـا في العنـاوين العبريـة من دلالات غامضة. أما ترجمتهم فتُمكّن من الوصول إلى نصـوص تبـدو أصـح ممـا ورد في الأصـل العـبري وهـذه الترجمـة لا تـزال الترجمـة المعتمــدة في الكنـائس اليونانيـة وفي الترجمات الرسمية التي تحتفظ بها الكنائس الشرقية.

سفر المزامير

سفر المزامير هو مجموعة التسابيح التي تأتي بعد الشريعة والأنبياء، في مطلع القسم الثالث من التوراة قسم الكتابات قبل سفر أيوب وسفر الأمثال، وتشكل معهما مثلثاً متميزاً ينفرد في النص بطريقة خاصة في التحريك. تحتوي هذه المجموعة على مئة وخمسين مزموراً، ويشتمل سفر المزامير على خمسة أجزاء ينتهي كل منها بعبارة تبريك أو تمجيد. لكن هذا التقسيم العام يضم مجموعات جزئية على جانب أو قليل من الأهمية.

فيلاحظ المرء مجموعات من المزامير يختلف بعضها عن بعض بالأفضلية التي يوليها لأحد الاسمين الآلهيين، إما الاسم إله إسرائيل الخاص وهو يهوه، وإما الاسم إيلوهيم العام أي الله، ويلاحظ المرء أيضاً بالإضافة إلى ذلك مجموعات مزامير بحسب مواضيعها منها صلوات داود بن يسّى. ودفاتر بني قورح وآساف وأناشيد المراقي وأناشيد ملك الله وهلّل المثلث، حيث يتردد غالباً صدى الهتاف هلّلويا.

ومعنى ذلك أن المزامير جعلت في مجموعات جزئية ومستقل بعضها عن بعض، وغير متساوية في العدد قبل أن تضم في مجموعات كبرى واحدة.

ولعلها جمعت في أواخر القرن الثالث قبل المسيح. وفي هذا التكوين التدريجي للمؤلف ما يسوّغ وجود بعض الأمور غير العادية ولاسيما ترديد بعض القصائد مرتين. وفي خارج سفر المزامير نقع على مزامير منفردة ومبعثرة في أسفار أخرى ترقى إلى أزمان مختلفة.

وتحمل مزامير التوراة العبرانية باستثناء أربعة وثلاثين منها عناوين يختلف طولها وطبيعتها ويرقى عهد هذه النبذ وهي عبارة عن بطاقة هوية إلى زمن قديم، إذ إن الأولين من المترجمين اليونانيين لم يفهموا معناها فهماً دقيقاً، وحتى في أيامنا وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المفسرون غالباً ما يكتفون بالتكهنات أو يلتزمون بالصمت.

وإذا أردنا إدراج القصائد في تاريخ بني إسرائيل فإننا نواجه عقبات كبرى تعترض طريقنا فقد تضم وثيقة متأخرة نسبياً تقاليد قديمة العهد، وقد يقدم مؤلفون حديثون على

إعادة التأليف لما تركه أسلافهم، فيتبنون أو يكيّفون مواد قديمة وقد يرصعون بكلمات منقحة جميلة أجزاء قديمة جداً وحتى بقايا من أدب الشعوب المجاورة إن أمكن الأمر وتنقسم المزامير إلى أنواع منها مزامير التسابيح، وأناشيد المُلك، وأناشيد صهيون. وهناك صلوات الاستغاثة والثقة والحمد، وهي صلوات فردية أحياناً وجماعية أحياناً أخرى، وهناك مزامير التعليم فيها من الحكم والأمثال ما يعلم الناس التربية والاستقامة....

المزامير وتاريخ جمعها

مثل المزامير، مثل التوراة، فقبل السبي البابلي لم تكن مدونة وعندما ظهر عزرا الكاتب جمع ما يسمى أسفار التوراة وجمع ما يسمى بالمزامير وضمها في كتاب واحد أطلق عليه اسم كتاب التوراة، ومن ثم بقيت المزامير في التوراة العبرانية كجزء منها. وهي ليست على علاقة بالأسفار الأولى أي أسفار موسى الخمسة عليه السلام.

وكما وُجهت انتقادات بالعشرات لكتاب التوراة فقد وُجهت انتقادات أيضاً للمزامير وذلك من حيث تاريخها ونسبتها ومحتواها وما كانت عليه وما أضيف عليها.

ويرى الفيلسوف سبينوزا أن المزامير قد جمعت وقسمت إلى خمسة أقسام ـ أسفار ـ بعد إعادة بناء المعبد، أي بعد مجيء المسبيين من بني إسرائيل من بابل إلى فلسطين ومحاولتهم المتعثرة لإعادة بناء ما يسمى هيكل الرب. ويعتقد سبينوزا أن أمثال سليمان قد جمعت في نفس العصر.

ويؤكد جميع الباحثين من أجانب وعرب أن كتّاب سفر المزامير عديدون وقد تناوبوا التدوين والتأليف في هذه المزامير فترة تمتد تواريخها من أيام النبي موسى عليه السلام إلى ما بعد السبي البابلي وهي على أقل تقدير حوالي ألف عام.

وقد سُميت المزامير لارتباطها بالمزمار وهو آلة نفخ تُتخذ من البوص وغيره، ومن ثم أصبحت هذه التسمية رمزاً على ترنيمات الحمد المنسوبة إلى الأنبياء في كتب العهد القديم. والشائع عند شراح كتب العهد القديم نسبة معظم المزامير إلى النبي داود عليه السلام. وإن كان لا خلاف على اشتراك عدة أشخاص في أزمنة مختلفة في كتابة المزامير وبالتالي في تدوينها، فهناك من يرى أن موسى عليه السلام لم يكتب غير المزمور رقم تسعين، ويرى آخرون أن داود أنشأ ثلاثة وسبعين مزموراً وأساف اثني عشر وحيمان واحداً هو المزمور رقم 88، وهناك مزامير كثيرة مجهولة النسب، كما أنه ليس بين جملة المزامير ترتيباً تاريخياً أو موضوعياً، والمفهوم أنها ليست مرتبة ترتيباً تاريخياً أو نبوياً.

وقد ظلت هذه المزامير فترة من الزمان مهجورة لا تستعمل في المعبد ولا يُتعبد بها. وقد تكون بأثر هذا الإهمال قد تعرضت للضياع أو التلف أو التحريف. ويقول فخري

عطية إن حزقيا هو الذي أعاد مزامير داود إلى مكانها من الاستعمال في الهيكل اعتماداً على قول الكتاب: وقال حزقيا الملك والرؤساء للاويين أن يسبحوا الرب بكلام داود وأساف الرائي[1].

وأهم ما يمكن أن نقوله بشأن هذه المزامير أنها ليست من الله إنما هي تأليف بشر ومنها الكثير الذي كتب في مناسبات محددة كما حددها كتاب التوراة.

وعلى سبيل المثال، المزمور الثالث الذي ألفه النبي داود حين هرب من وجه ابنه أبشالوم، ومنها أيضاً المزمور الذي ينسبونه إلى داود عندما غيّر عقله أمام أبي مالك فطرده وانطلق. أما المزمور الخامس والأربعون فهي لبني قورح وقد أكد علماء المسيحية أنه ترنيمة حب نظمت لأجل ظرف خاص هو زواج الملك أو ابنه، والشاعر الناظم معاصر لهما فتكلم عن أمور جرت أمام عينيه. والمزمور الستون ينسب إلى داود وأنه قاله حين كان يحارب (آرام صوبه) بين الفرات والعاصي.

---

(1) فخري عطية - دراسات في سفر المزامير - الجزء1 - ص4 - نقلاً عن كتاب التراث الإسرائيلي لصبري طعيمة.

كيف نتعامل مع المزامير؟

كيف نستطيع أن نعرف ما يتناسب مع شخصية داود النبوية وما لا يتناسب؟

وكيف يمكن أن نجري مقاربة ما بين ما جاء فيها، وبين التعاليم الدينية والأدعية والابتهالات الخاصة بالأنبياء؟

كيف ندرك المقارنة التاريخية بين تاريخ كتابة المزامير وما تشير هذه المزامير إلى تواريخ وأحداث؟

فإذا كانت المزامير تنسب لداود عليه السلام فإن هذا يعني أنها تنسب لتاريخ محدد وجد فيه هذا النبي. وإذا كانت المزامير تشير إلى أحداث حدثت بعد زمن هذا النبي فإن تناقضاً واضحاً يقع في ذلك.

المزمور الأول: عندما نقرأ المزمور الأول ونتمعن في معانيه نرى تقاطعاً واضحاً كبيراً مع ما جاء في القرآن الكريم فهو يركز على صنفين من البشر؛ صنف المؤمنين وصنف الأشرار، ثم يركز على عاقبة كل من الطرفين.

يقول هذا المزمور: طوبى لمن لا يسير على مشورة الشريرين، ولا يتوقف في طريق الخاطئين ولا يجلس في مجلس الساخرين، بل في شريعة الرب هواه وبشريعته يتمتم نهاره وليله. فيكون كالشجرة المغروسة على مجاري المياه تؤتي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل أبداً. فكل ما يصنعه ينجح، ليس الأشرار كذلك، بل إنهم كالعصافة التي تذروها الرياح، لذلك لا ينتصب في الدينونة الأشرار ولا الخاطئون في جماعة الأبرار. فإن الرب عالم بطريق الأبرار وإن إلى الهلاك طريق الأشرار.

فتعاليم هذا المزمور تعاليم أخلاقية وهي أقرب كثيراً إلى سلوك النبوة، ويقابلها في القرآن الكريم نفس التعاليم الأخلاقية.

فالنعمة والنعيم لمن لا يتبع الأشرار، ولا يسلك طريق الخاطئين، ولا يعاشر الساخرين. والمؤمن الحق مشغول بالتسبيح لله، وشجرة الخير لا تذبل أبداً وكذلك عمل

المؤمن وعمل الأشرار كالرماد تذروه الرياح، ويوم القيامة لكلٍ مصيره، المؤمنون إلى النعيم والأشرار إلى الجحيم.

لننظر إلى قوله في المزمور - وبشريعته يتمتم. بمعنى يسبح لله وبدينه يحدث نفسه ليلاً ونهاراً. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝ ﴾ [ص 18].

وقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء 20].

وقوله تعالى: ﴿ سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم 11].

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم 24-25].

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝ ﴾ [إبراهيم 18].

ولننظر في الوقت نفسه للمزمور حيث يقول: ليس الأشرار كذلك بل إنهم كالعصافة التي تذروها الرياح.

فإذا نظرنا بتمعن إلى هذه التقاطعات ندرك أن هذا المزمور هو مما يتناسب مع الزبور الخاص بالنبي داود عليه السلام. والتقاطع يدل على التواصل النبوي، وتواصل الوحي، ويدل على الروح الواحدة لتعاليم الأنبياء وأخلاقهم.

في المزمور الثاني: منحى آخر ومضمون آخر يتناسب مع روح ملك وليس روح نبي حيث إنه يرتبط بمفردات هي أقرب إلى الأمور الدنيوية، ويتضح أنها تستمد معانيها من روح التوراة وأتباعها.

يقول فيه: ملوك الأرض قاموا والعظماء على الرب ومسيحه تآمروا.

ويقول: فيه الساكن في السموات يضحك والسيد بهم يهزأ.

بغضبه حينئذ يخاطبهم وبسخطه يروعهم. إني مسحت ملكي. على جبلي المقدس

صهيون. أعلن حكم الرب. قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك.

سلني فأعطيك الأمم ميراثاً وأقاصي الأرض ملكاً. بعصا من حديد تكسّرهم.

ويقول: اعبدوا الرب بخشية وقبلوا قدميه برعده.

نلاحظ قوله: الساكن. أنت ابني. ولدتك. أعطيك الأمم ميراثا. وبعصا من حديد تكسرهم. . قبلوا قدميه.

فهذه المفردات حوت من التجسيد للإله ما لا يتناسب مع النبوة. وهي تذكر دوماً بالتجسيد الذي اعتمده بنو إسرائيل طوال حياتهم. ونلاحظ قوله: على جبل المقدس صهيون. والجبل المقدس لبني إسرائيل كان ذلك الجبل الذي تلقى عنده موسى عليه السلام كتابه في الألواح. أما كيف صار جبل صهيون هو الجبل المقدس فهذا ما يخص التوراة دون غيرها، فهي تقدس تارة ولا تقدس تارة أخرى. ولا يخفى على المرء المنحى السياسي الذي قصده المزمور. وهذا المنحى ركز عليه مدونو التوراة أيام السبي البابلي. ونعتقد أن ليس لداود عليه السلام علاقة بهذا المنحى ولا بذاك التجسيد الوثني.

في المزمور الثالث: حديث عن معاناة داود عندما فرّ من وجه ابنه أبشالوم الذي جمع بني إسرائيل ضد أبيه. ومن الطبيعي أن هذا المزمور ليس له علاقة بالزبور باعتباره خاص بشكوى داود من وضع خاص فهو الذي قاله ولم ينزل عليه.

في المزمور الرابع: ليس سوى اعتراف لداود بفضل الله عليه وأدعية لله أن يرحمه ويستمع له ووصايا منه للبشر بأن يبتعدوا عن الشر.

في المزمور الخامس: يأتي السياق بنفس الوتيرة وفيه من التعاليم الأخلاقية العامة ما يوحي بأن بعضه خاص بالعلاقة بين النبي داود وربه، لكنه يشير إلى مطلب من داود كي يدمر الله المجرمين والعصاة والذين يتآمرون وتكثر معاصيهم. وهذا يوحي أن بني إسرائيل كانوا عصاة مجرمين يتآمرون على النبي داود ويضايقونه.

في المزمور السادس: شكاوى كثيرة يطلقها داود للرب وتوحي بأن حالته النفسية وصلت درجة بالغة.

لكن في هذا المزمور ما يوحي إلى تدخل مؤلفي التوراة في كتابته. فلننظر إلى قوله:

فإنه ليس في الموت من يذكرك، ومن في مثوى الأموات يحمدك. وهذا يوحي أن الإنسان بعد موته يسير إلى الفناء، وهذه إشارة لضعف إيمان بني إسرائيل باليوم الآخر وانتقال أرواح الصالحين إلى حياة أجمل وأكثر سعادة.

وفي نفس المقام يأتي المزمور السابع: فهو شكاوى وتضجر ودموع ومضايقات يعيشها النبي داود حتى أنه يدعو الله أن يعجل بالانتقام من الذين يعترضون طريقه، ومرة أخرى يدخل التجسيد المنافي للوحدانية وعدم التشبيه. وهذا هو منهج كتبة التوراة وليس منهج الأنبياء.

يقول: قم يا رب في غضبك وانتصب بوجه حنق مضايقيَّ.

واستيقظ يا إلهي، فلتحط بكل جماعة الأمم واجلس فوقها في الأعالي.

ويبدو من خلال هذا المزمور طبيعة الإله التوراتي الذي تصوروه، ألصقوا به خيالهم وعواطفهم، وهذا مما ليس له علاقة بما أوحى الله به لنبيه داود في الزبور.

وفي المزمور التاسع: يعاود كتبة التوراة التأكيد على المضمون السياسي حين يقول:

اعزفوا للرب ساكن صهيون وأعلنوا في الشعوب مآثره.

لكي أحدث بجميع تسابيحك في أبواب ابنة صهيون.

وفي المزمور 10: نجد النفس التوراتي يطغى على المعاني بحيث نرى الله إلهاً مزاجياً يغيب متى يشاء ويظهر متى يشاء يقول: لماذا تقف يا رب بعيداً. وفي زمن الضيق تحتجب.

وفي المزمور 12: يقول: خلص يا رب فإن الصفيّ قد انقرض. والأمين من بني آدم قد زال. في هذا المقطع يأس كامل ولا أمل بالأمناء من بني البشر فهم قد انقرضوا. فهذا التقرير لا يدل على منهج النبوة. فالإنسان فيه الخير والشر ولو أن كل الأمناء والشرفاء انقرضوا لما بقي سبب للصراع بين الخير والشر. لأن الشر يكون قد ساد وتحكم.

في المزمور 13 يرد: إلام يا رب أللأبد تنساني. إلام تحجب وجهك عني.

وهذا أيضاً مناف لطبيعة النبوة والإيمان لأن النبي على صلة دائمة بربه لا ينقطع عنه ولا الله سبحانه بغافلٍ عن نبيه ومخلوقاته.

في المزمور 14 : يقـول : مـن السـماء أطـل الـرب علـى بنـي آدم لـيرى هـل مـن عـاقل يلتمس الله .

وهذا مناف لذات الله وعلمه المسبق فالله سبحانه ليس بحاجـة كـي يطـل مـن السـماء على بني آدم ليرىّ هل بقي عاقل يلتمس الله .

وفي نفس المزمور يرد : من صهيون من يأتي إسرائيل بالخلاص .

حين يرد الرب أسرى شعبه يبتهج يعقوب ويفرح إسرائيل .

فهذا النص يشير إلى أسر اليهود . وأسـرُهم حـدث بعـد داود بعشـرات السـنين فمـن حيث الوجهة التاريخية فإن هذا القول المنسوب إلى النبي داود يتناقض مع حادثة الأسـر . ومن وجهة أخرى فإن النص يشير إلى نبوءة ، لكـن هـذا النبـوءة تظهـر فيهـا روح المؤلفـين الإسرائيليين الذين دونوا المزامير ضمن التوراة بعد مئات السنين ، ويظهـر أنهـم أرادوا مـن ذلك ربط خلاص بني إسرائيل بنبوءات تنسب إلى داود وغيره من الأنبياء .

في المزمور 17 : يرد قوله : اللهم إني دعوتك لأنك تجيبني فأملِْ أذنك إليّ واستمع قولي .

نلاحظ التجسيد والتجسيم في المقطع الثاني وهذه مـن طبيعـة التـأليف التوراتـي التـي درج عليها مؤلفو التوراة .

ويوقفنا المزمور 18 : فهو من أهم المزامير وأكبرها حجماً وأكثرها أفكاراً ، وهـو يلخـص مفاهيم التوراتيين الذين ينقلون هذه الأفكار والمفردات من مكان لمكان في أسفار التوراة .

❖ وأول هذه الملاحظات : أن هذا المزمور ينسـب إلـى داود عندمـا أنقـذه الـرب مـن أيدي جميع أعدائه ومـن يـد شـاؤول ؛ أي أن داود في تلـك الفـترة كـان شـاباً ولـم يكلـف بالرسالة بعد فإذا صح أن المزمور لداود فهذا يعني أنه ليس له علاقة بالزبور الـذي آتـاه الله داود عندما كان قد كلف بالنبوة والدعوة .

❖ والملاحظة الثانية : أن كثيراً من مقاطع هذا المزمـور منقولـة مـن حيـث المعنـى عـن حادثة تجلي الله لموسى في سيناء . فنرى مثلاً قوله :

تزعزت الأرض وتزلزت وأسس الجبال ارتعدت . ومن غضبه ارتجّـت دخان صعد من أنفه . ونار آكلة من فمه . وجمر اتقد منه حتى السموات ونزل والغمام الكثيف تحت قدميه .

ركب على كروب وطار وحلق على أجنحة الرياح .

أقام من الظلمة حجاباً له . ومن ظلام المياه وظلمات الغيوم خيمة حوله .

أمام بهائه مرت الغيوم برد وجمر نار .

أرعد الرب من السماء وأطلق العليُّ صوته .

أرسل سهامه فبددهم وبروقه فهزمهم .

أعماق البحر انكشفت وأسس الكون انجلت . لصوت وعيدك يا رب ولهبوب ريح منخريك .

فنلاحظ في هذا المزمور صدى كلام التوراة في سفر الخروج وغيره من الأسفار والسمة الغالبة على معانيه وألفاظه التجسيد الأسطوري البعيد عن سمات الذات الإلهية . لاحظ قوله دخان صعد من أنفه ونار آكلة من فمه . وجمر اتقد منه فهذه صفات الآلهة الأسطورية التي استقاها كتبة التوراة من الأساطير الكنعانية الخاصة بالإله الوثني بعل .

ونلاحظ كيف تكررت صورة نزول الله في الغمام في هذا المزمور وفي سفر الخروج . وكذلك ركوب الله على كروب ثم طيرانه على أجنحة الرياح . كل ذلك مبثوث بصريح العبارة في سفر الخروج خاصة عند الحديث عن تلقي موسى رسالة السماء .

والواقع أن هذا المزمور الذي نسب إلى داود ليس سوى مقاطع مأخوذة من سفر الخروج وبعض الأسفار الأخرى .

نلاحظ قوله مثلاً : أعماق البحر انكشفت . فهي تدل دلالة واضحة على حادثة الخروج من مصر عبر البحر وليس لها علاقة بالواقع التاريخي الذي يعيش فيه النبي داود .

ونستنتج مما سبق ، أن هذا المزمور هو أقرب إلى التأليف الذي عمل عليه كتبة التوراة بعد داود بعشرات السنين وليس هو من كلام داود عليه السلام . وطالما كذلك فإن علاقة هذا المزمور بالزبور مفقودة ولا صلة بينهما ، لأن الزبور منزل من الله وليس هو من صنع داود .

ونتوقف عند المزمور 22 لنرى اليأس من رحمة الله ، ونرى كيف ينسب الملك داود حسب التوراة لله ما لا يليق به :

يقول: إلهي إلهي لماذا تركتني. هيهات أن تخلصني كلمات زئيري.

إلهي في النهار أدعو فلا تجيب وفي الليل لا سكينة لي.

ويدل المزمور على وضعٍ حرج بالنسبة لداود. فالأعداء أحاطوا به وكادوا يفترسونه ونتج عن هذا الضيقِ هذه الجمل التيّ تجاوز فيها حدود الأدب مع الله وكل ذلك حسب المزمور.

ويوقفنا المزمور 25: بما فيه من نفس نبوي صافٍ فهو أدعية لا يدخل فيها اليأس ولا يُجسّم الإله ولا يجسّد.

يقول فيه: إليك يا رب أرفع نفسي. إلهي عليك توكلت فلا أخزَ ولا يشمت بي أعدائي. فجميع الذين يرجونك لا يخزون.

يا رب طرقك عرّفني وسبلك علّمني. إلى حقك اهدني وعلمني. فإنك أنت إله خلاصي وإليك رجوت النهار كله.

وهكذا يسير هذا المزمور في نسق واحد من تمجيد الله والاعتراف بالذنوب والرجاء بالمغفرة.

نلاحظ قوله: من هو الذي يتقي الرب؟ فإنه يرشده في الطريق الذي يختار. وهذا المقطع يذكرنا بالآية الكريمة: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق 2] فالتقاطع يدل على الجذر الإيماني الواحد.

في المزمور 29: نجد ملامح صراع سياسي عسكري بين بني إسرائيل وسكان لبنان وخاصة صيدا. وهذا المزمور لا يتوافق مع ما أنزل على داود؛ لأن داود نفسه حسب ما دوّنه التوراتيون هو الذي قال هذا المزمور.

يقول: صوت الرب يحطم الأرز يحطم أرز لبنان. يجعل لبنان يقفز قفز العجل وسرين (صيدا) يثب وثوب ولد الثور.

صوت الرب يزلزل البرية. يزلزل الرب برية قادش.

أما المزمور 33: فنرى فيه ملامح الخلق الأولى التي أشار القرآن الكريم.

يقول: بكلمة الرب صنعت السماوات وبروح فمه صنع كل جيشها إنه قال فكان وأمر فوجد.

وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس 82].

أما المزمور 34: فتقول مقدمته إن داود قاله عندما تظاهر بالجنون أمام أبيمالك فطرده وانصرف. فالتظاهر بالجنون لا يليق بمقام النبوة وهذه إحدى التلفيقات التوراتية.

وفي المزامير اللاحقة يغلب على الكلام الدعاء والاعتصام بالله وإبراز الضعف البشري أمام قدرة الله. ولكنّ بعض المقاطع التي يطغى عليها الحس السياسي والخاص لبني إسرائيل، حتى أن ذات الله اعتبرها الكلام الوارد في المزامير ذاتاً خاصة لقومٍ دون غيرهم.

يقول المزمور 48: جبل صهيون. أقاصي الشمال. مدينة الملك العظيم. الله في قصورنا أظهر نفسه حصناً. كما سمعنا كذلك رأينا. في مدينة رب القوات. في مدينة إلهنا. إن الله يوطدنا للأبد. جبل صهيون يفرح وبنات يهودا تبتهج من أجل أحكامك. طوفوا بصهيون ودوروا حولها واحصوا بروجها. علّقوا قلوبكم بأسوارها وتأملوا في قصورها.

فهذه المعاني ليست إلا من تأليف خيال مدوّن التوراة. فالنبي داود لم يكن حسب ما تصوره التوراة مهتماً بهذا الحس السياسي. إنما يدرك مهمته النبوية في الدعوة والقضاء بين الناس بالعدل والرحمة.

ويلفت نظرنا المزمور التاسع والأربعون: لما فيه من معانٍ أخلاقية دينية تتقاطع مع المعاني الأخلاقية الدينية التي يطرحها القرآن الكريم وهذه المعاني تتناقض مع تلك المعاني الواردة في المزمور السابق.

نلاحظ قوله: لا تخف إذا اغتنى الإنسان وازداد بيته مجداً فإنه إذا مات لا يأخذ شيئاً ولا ينزل مجده وراءه. أو قوله: الإنسان في الترف لا يفهم يشبه البهائم الصامتة.

وفي المزمور 50: نرى بعض المقاطع التي تتقاطع مع بعض معاني القرآن الكريم.

يقول فيه: إن جعت فلا أخبرك. فإن لي الدنيا وما فيها. وهل أنا من لحم الثيران آكل. وهل أنا لدم التيوس شارب؟ اذبح لله ذبيحة حمد.

افهموا إذاً يا من نسوا الله لألا أفترس ولا منقذ. من يقرب ذبيحة الحمد يمجدني ومن استقام طريقه أريه خلاص الله.

إن ذلك يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج 37]

وانظر قوله في نفس المزمور:

إذا رأيت سارقاً ركضت معه ومع الزناة نصيبك. أطلقت فمك للشر. ولسانك يحوك الخداع. جلست فتكلمت على أخيك وشوهت سمعة ابن أمك.

ويستفاد منه التحذير من المغيبة والنميمة وتشويه سمعة الآخرين بالافتراء والكذب يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات 12].

أما في المزمور 51: فيتضح أنه ألف بعد داود ﷺ بزمن طويل لأنه يتحدث عن دعاء الله كي يبني أسوار القدس بعد أن خربت.

يقول: أحسن برضاك إلى صهيون فابنِ أسوار أورشليم. حينئذ ترضى بذبائح البر وبالمحرقة والتقدمة التامة.

وكأن المؤلف يضع شرطاً على الله إن هو بنى أسوار أورشليم فإن بني إسرائيل سيقدمون ذبائحهم ويقدمون تقدماتهم على مذبح الله.

وكذلك المزمور 53: فإنه يفصح عن زمن تأليفه وقد نسبوه إلى داود زوراً وبهتاناً لاحظ قوله: من الذي يأتي من صهيوني بالخلاص لإسرائيل.

حين يرد الله أسرى شعبه يبتهج يعقوب ويفرح إسرائيل.

الواضح من هذا أن المزمور أُلف بعد أن وقع بنو إسرائيل في أسر أعدائهم، فالمؤلف هنا يتمنى أن يرى من ينقذ إسرائيل من الأسر.

أما المزمور 68: فإنه يجسد الحسّ العسكري التوراتي فمن خلاله يظهر مثل ربٍّ مقاتل محارب يقود الجيوش، ويتجسّد ويتجسّم كما تجسّد وتجسّم في سفر الخروج.

يقول: اللهم حين خرجت قدام شعبك عندما دست القفار. رجفت الأرض وقطرت السماء من وجه الله. إلى سيناء إله إسرائيل السيد يصدر أمراً يبشر بجيش جرار.

جبل باشان جبل الله جبل باشان جبل القمم.

أيتها الجبال الشامخات لماذا تحسدين الجبل الذي ابتغاه الله لسكناه. فالرب يسكنه على الدوام.

فكما نلاحظ أن الإله الخاص والذي تصوره كتبة التوراة هو إله يسكن جبلاً دون الجبال الأخرى. وهذا يذكرنا بما قالت به الأسطورة الكنعانية عن سكن الإله إيل أبو بعل في جبل خاص به.

ويأتي المزمور نفسه على ذكر الهيكل على الرغم من أن الهيكل يُنسب بناؤه إلى سليمان وليس إلى داود. من أجل هيكلك فوق أورشليم يحمل الملوك إليك الهدايا.

ومرة جديدة نتوقف عند المزمور 74: لنرى أن الحس التوراتي في التأليف لا يغادر المفردات والمعاني. فهي تتناسب تماماً مع الواقع النفسي الرديء الذي عاشه بنو إسرائيل في الأسر والاضطهاد.

يقول: اللهم لماذا للأبد نبذتنا ولماذا على غنم مرعاك اشتعل غضبك.

اذكر جماعتك التي منذ القدم اقتنيتها وسبط ميراث تلك افتديتها.

وجبل صهيون الذي سكنت فيه.

ارفع خطواتك إلى الأطلال الدائمة ففي القدس أتلف العدو كل شيء.

آياتنا لم نعد نراها ولم يبق نبي وليس عندنا من يعلم إلى متى.

فهذه المعاني تدل دلالة واضحة أن هذا المزمور ليس له علاقة بداود عليه السلام فهو يعبر عن حالة مزرية يعيشها بنو إسرائيل. فحسب النص: أن عدواً أتلف كل شيء، ولم يبق نبيٌ يوجه الشعب. وفي بداية المزمور نرى الاحتجاج الواضح على الإله لأنه حسب النص ترك شعبه ونبذه وتخلى عنه فريسة للأعداء.

وفي نفس المزمور يرد أن الرب حطم رؤوس لوياتان (وأعطيته للوحوش مأكلاً).

فهذا المقطع مأخوذ من الأسطورة البابلية وكذلك من الكنعانية، وهو أسطوري وليس حقيقي. فلوياتان هو التنين ذو الرؤوس السبعة، وهو الذي تصارع مع الله الخالق حتى قتله الله وفرق جسده على الوحوش الضارية.

وقد وردت الصورة أيضاً في سفر أيوب.

في المزمور 95، و96، و97: ترد عبارة الرب إله عظيم وعلى جميع الآلهة ملك عظيم، وعبارة ورهيب فوق جميع الآلهة، وعبارة متعال على الآلهة جميعهم، وهذا ما يزال يدل دلالة قاطعة على إيمان بني إسرائيل بوجود آلهةٌ غير الله على الرغم من أنهم يمنحون إلههم صفات هي أكبر من صفات بقية الآلهة، وهذا بالطبع منافٍ تماماً لطبيعة النبوة عند داود ﷺ.

في المزمور 102: مرة أخرى يدلنا هذا المزمور على الوضع المزري الذي كان يعيشه بنو إسرائيل فهو ليس كلام داود ﷺ إنما هو كلام من كانوا يعانون الأسر والمذلة.

يقول: ستقوم وترأف بصهيون. فقد حان أن تتحنن عليها وقد آن الأوان.

إن عبيدك أحبوا حجارتها وحنّوا على ترابها.

الرب من علو قدسه تطلع ومن السماء إلى الأرض نظر.

ليسمع تنهد الأسير ويطلق سراح أبناء الموت.

غير أن كاتب التوراة ومدوّن المزامير حاول أن يوحي أن المزمور من كلام داود ﷺ فأدخل كلمات توحي بصيغة المتكلم، وهي خاصة بحالة فردية ليس لها علاقة بما قبلها، ونجد أن النصّ ينقطع ثم ينتقل إلى هذا النمط الجديد من الحديث، يقول فيه: في الطريق أوهن قوتي. وقصّر أيامي. أقول يا إلهي لا ترفعني في نصف أيامي إلى جيل فجيل سنوك.

وعندما نتوقف عند المزمور المئة وثلاثة: والذي يُنسب لداود ﷺ نرى جواً آخر ونَفَساً آخر، هو من النوع الذاتي الخاص، والذي يلخص علاقة النبي داود بربه.

يقول: باركي الرب يا نفسي ويا جميع ما في داخلي اسمه القدوس. باركي الرب يا نفسي ولا تنسي جميع إحساناته. هو الذي يغفر جميع آثامك. ويشفي جميع أمراضك. يكللك بالرحمة والرأفة. الرب الذي يُجري البر والحق لجميع المظلومين. عرّف موسى طرقه وبني إسرائيل مآثره. الرب رؤوف رحيم. طويل الأناة وكثير الرحمة.

فهذه المعاني والألفاظ لا تفترق كثيراً عن معاني وألفاظ القرآن الكريم. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر 53] ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝ ﴾ [الشعراء 80] ﴿ لَّيۡسَ

بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال 51] ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف 156] ﴿ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور 20].

ثم يقول الإنسان كالعشب أيامه وكزهر الحقل يزهر. هبت عليه ريح فلم يكن ولم يعد يعرفه موضعه.

لننظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الكهف 45].

ونلاحظ قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة 207] وقوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر 31] ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت 46].

ونلاحظ بعض المقاطع في المزمور المئة وأربعة: الباسط السماء كالستارة. المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع أبد الدهور. أنت مفجر العيون في الوهاد. فتسيل بين الجبال. صنع القمر للأوقات والشمس عرفت غروبها. تلقي الظلام فإذا الليل فيه تسعى جميع وحوش الغاب. يخرج الإنسان إلى شغله وإلى عمله حتى المساء.

لننظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس 39]. وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ [الأنبياء 32].

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر 21]. وقوله تعالى: ﴿ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ [النبأ 6-7].

أما المزمور 105: ففيه من التلفيق أكثر من وجه.

لاحظ ماذا يقول: يا ذرية إبراهيم عبده ويا بني يعقوب مختاريه.

هو الرب إلهنا في الأرض كلها أحكامه.

يتذكر للأبد عهده. الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل.

العهد الذي قطعه مع إبراهيم. والقسم الذي أقسمه لإسحق.

والذي جعله فريضة ليعقوب وعهداً أبدياً لإسرائيل.

قائلاً (أعطيك أرض كنعان حصة ميراث لكم).

فهذا النص صدى لما قالته ولما دونه كتبة التوراة في سفر التكوين، وهو ملفق على إبراهيم وملفق على إسحق.

وإذا كان العهد أبدياً فلماذا رُحّل بنو إسرائيل لمدة سبعين عاماً بعيداً عن الأرض الفلسطينية التي احتلوها؟ ثم لماذا لم يستقم العهد لمدة ألفي عام منذ المسيح عليه السلام وحتى قيام الكيان الصهيوني؟

فالقصة كلها تلفيقة توراتية. ألفها كتبة التوراة ليصبح التوجه سياسياً ليس له علاقة بأي جانب ديني.

ونتوقف عند بعض المزامير ذات المنحى التاريخي؛ منها المزمور المئة وستة: فهذا المزمور يحوي الكثير من المقاطع فهو طويل من حيث حجمه ومن حيث الأحداث التي يتعرض لها. وعندما ندقق فيها نرى أنه صدى لبعض أسفار التوراة الأولى فهو أولاً اعتراف بما فعل بنو إسرائيل من إغضاب لله وللأنبياء وخروج عن عقيدة التوحيد.

يقول: قد خطئنا نحن وآباؤنا. الإثم والشر ارتكبنا.

آباؤنا في مصر لم يفطنوا لعجائبك ولم يتذكروا وافر مراحمك.

بل تمردوا على العلي عند بحر القصب.

سرعان ما نسوا أعماله ولم ينتظروا تدبيره.

في البداية اشتهوا شهوة وفي القفر جربوا الله.

فلبى طلبهم وأرسل الحمى في نفوسهم.

حسدوا موسى في المخيم وهارون قديس الرب.

صنعوا عجلاً في حوريب وسجدوا لصنم مسبوك.

واستبدلوا بمجدهم صورة ثور آكل عشب. نسوا الله مخلصهم صانع العظائم في مصر.

فنوى أن يبيدهم لولا أن موسى مختاره. وقف في الثلمة أمامه ليرد غضبه عن

إهلاكهم. ورفضوا أرضاً شهية غير مؤمنين بكلمته. وفي خيامهم تذمروا وإلى صوت الرب لم يستمعوا. فرفع يديه مقسماً ليسقطنهم في البرية.

ويسقطّن ذريتهم في الأمم ويبددنهم في البلاد.

فتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى. وأسخطوا بأعمالهم فداهمتهم الضربة وعبدوا أصنامها فكان لهم ذلك فخاً. وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين. وسفكوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم. الذين ذبحوهم لأصنام كنعان. فتدنست الأرض بالدماء. وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم.

مرات كثيرة أنقذهم لكنهم تمردوا على تدبيره وانحطوا بآثامهم.

فهذا المزمور يسجل وقائع التمرد العقيدي لبني إسرائيل طوال مئات السنين وتبدو نفسية بني إسرائيل واضحة تماماً من حيث عدم اقتناع أصحابها بعقيدة التوحيد، وميلهم الدائم إلى عبادة الأصنام والآلهة الوثنية التي صنعها البشر، وليس وراء هذا المزمور أي فائدة تذكر سوى ما ذكرته أسفار التوراة الأولى والتي تفصح عن انحراف عقيدي دائم لبني إسرائيل.

وفي المزمور 107: إشارة واضحة إلى أخلاق بني إسرائيل وانحرافهم ولا يخرج ذلك عما قرأناه في المزمور السابق.

يقول: كانوا مقيمين في الظلمة وظلال الموت أسرى البؤس والحديد.

لتمردهم على أقوال الله واستهانتهم بتدبير العلي.

فأذل قلوبهم بالعناء. سقطوا ولا معين.

كانوا مرضى في طريق معصيتهم وأشقياء في آثامهم.

ومن الملاحظات على هذا المزمور أن كل مقطع منه يتحدث عن منن الله على بني إسرائيل وإنقاذهم من ظروفهم الصعبة، وفي كل مقطع يتحدث المزمور عن سمة وفعل من سماتهم وأفعالهم المشينة.

ويلفت نظرنا ما حوته بعض المزامير من أقوال حكيمة تنم عن أخلاق نبوية واضحة، وتنم عن تواضع أمام الله.

فالمزمور 109 يقول على لسان داود: فإني بائس مسكين وقلبي في داخلي جريح من كثرة الصوم تنثني ركبتاي ومن الضعف يهزل جسمي.

انصرني أيها الرب إلهي وبحسب رحمتي خلصني.

أما المزمور 111: فيشير إلى الحث على طاعة الله سبحانه.

والمزمور 114: لا يخرج عن تلك الوصايا للإنسان كي يكون دائماً مع الله.

فيقول: طوبى للرجل الذي يتقي الرب ويهوى وصاياه جداً.

تكون ذريته في الأرض مقتدرة وجيل المستقيمين مبارك.

في بيته يكون المال والغنى وبرّه يدوم للأبد.

طوبى للرجل الذي يرأف ويقرض ويدبر بالحق أموره.

لا يخشى خبر السوء ثابت قلبه متكل على الرب.

قلبه ثابت فلا يخاف. وزّع وأعطى المساكين. فبّره يدوم للأبد وقوته تزداد مجداً.

فهذه المعاني هي أقرب إلى الوصايا التي يؤكدها مبدأ النبوة. وهي أقرب إلى شخصية النبي داود وعلى الأرجح أن مثل هذا المزمور ومثل هذه المعاني تقترب كثيراً كثيراً من منهج النبوة لسائر الأنبياء.

ويكاد المزمور 113 لا يبتعد عما سبقه في المزمور 112 حيث يبدأه بـ يا عبيد الرب سبحوا لاسم الرب سبحوا.

ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وللأبد.

يُنهض المسكين من التراب. ويقيم الفقير من الأقذار. ليجلسه مع العظماء.

وفي المزمور 115: تمجيد لله الخالق الذي ليس مثله شيء لكن الذي يُلفت فيه الحديث عن الأوثان التي يتعبد لها بعض الناس.

فيقول: إن إلهنا في السماء. صنع كل ما شاء.

أوثانهم فضة وذهب صنعُ أيدي البشر. لها أفواه ولا تتكلم. لها عيون ولا تبصر.

لها آذان ولا تسمع. لها أنوف ولا تشم. لها أيد ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشِ ولا بحناجرها تتمتم. مثلها يصير صانعوها وجميع المتّكلين عليها.

فهذه الأوصاف التي يذكرها المزمور لا تبتعد عما جاء به القرآن الكريم من وصف للأوثان وأصحابها.

وفي المزمور 117: دعوة لكل الشعوب والأمم كي تطيع الله الواحد. وهنا نرى أن الله سبحانه ليس إله بني إسرائيل وحدهم كما يرد في كثير من المزامير التي ألفها كتبة التوراة.

يقول: سبحي الرب يا جميع الأمم وامدحيه يا جميع الشعوب. لأن رحمته علينا عظيمة وصدقُ الرب قائم أبداً. الاعتصام بالرب خير من الاتكال على البشر.

وفي المزمور 119 تتضح العلاقة بين النبي داود وبين ربه. فهو عبد ضعيف أمام الله، الله يطهّر قلبه ويلقي على فمه الحكمة وهو يتنعم بفرائض الله، ويدعو ربه أن يُبعد عنه طريق الكذب، ويبعد عنه الخزي والعار وطريق المتكبرين. وتلك المعاني جديرة بالنبي وبكل مستقيم مؤمن لا يحيد عن أوامر الله.

كيف تفصح المزامير عن العلاقة بين داود وبني إسرائيل؟

إذا صحت نسبة المزامير أو بعضها للنبي داود فإن فيها من الإشارات والتصريحات ما يفصح عن علاقة سيئة جداً بين النبي داود وبني إسرائيل، وهناك من الدلالات اللفظية ما يشير إلى ذلك.

وقد تكررت في هذا الاتجاه - اتجاه العلاقة السيئة - مفردات معينة. وكان تكرارها كبيراً لدرجة أنه قل أن لا ترد في مزمور. ويتضح من خلالها أن هناك أعداءً كثيرين لداود يحاولون الإيقاع به والتآمر عليه ومضايقته باستمرار. وهؤلاء الأعداء خارجيون وداخليون وقريبون جداً من النبي داود.

فنلاحظ كلمة مضايقيّ تتكرر في المزامير عشرات المرات وغيرها من المفردات التي تدل على حال يأس تلبست داود عليه السلام. وهذا اليأس هو بسبب هؤلاء الذين يتآمرون عليه ويضايقونه ولا يسمعون كلام الله.

وحين نرصد جميع المزامير نرى أن القسم الأعظم منها تلفه الشكوى والضيق، وقد أحصينا من المفردات الدالة على هذه الحالة الكثير الكثير.

نلاحظ مثلاً وليس على سبيل الحصر المفردات التالية:

مضايقيّ. خلّصني. شكواي. صراخي. يترصدونني. مؤامراتهم. أعدائي. الأشرار. مبغضيّ. مخاصمات الشعب. الحانقين. المعتدين. يسخرون مني. كلاب كثيرة أحاطت بي. زمرة من الأشرار. المرائين. أهل السوء الخاطئين. التضرع. انقذني. يسخرون بي. شباك.

وجاء في بعض المزامير:

وقف أحبائي ورفاقي متنحين عن ضربتي.

ووقف بعيداً أقاربي. طالبوا نفسي نصبوا الشباك.

وجاء أيضاً: جميع مبغضيّ عليّ يتهامسون والشر لي يضمرون.

وحتى صديقي الحميم رفع علي عقبه.

وورد أيضاً: عاري طول النهار أمامي. والخجل يغطي وجهي.

من صوت الشاتم والمجدف ومن وجه العدو والمنتقم.

فهذه المفردات وهذه المقاطع تدل دلالة قاطعة على أن علاقة سيئة كانت تحكم النبي داود بني إسرائيل. وإذا أضفنا ما ورد في بعض المزامير من حديث عن أطباعهم السيئة وانقلاباتهم الدينية المتتالية أدركنا أن داود ﷺ بريء مّما يزعمون من أنه يمثلهم أو يمثل ملكهم.

وقد صرح النص بأن صديقه الحميم وأن أقرب الناس إليه وأحباءه وقفوا يترصدون هلاكه أو أنهم كانوا يتخلون عنه في أوقات ضيقة، فإذا كان هذا هو حال أعز الناس إليه وأقربهم له فكيف ببني إسرائيل الذين ما تركوا نبياً من أنبيائهم إلا آذوه، أو قتلوه أو تخلوا عنه أو شوهوه؟

على أية حال فإن إطلالتنا السريعة على المزامير يُراد منها أن نكشف أن أكثرها يُنسب إلى داود، قد يكون هذا صحيحاً أو غير صحيح ولكن الصحيح والأكيد أن غالبية المزامير لا تتناسب مع منطق النبوة. وكما عرفنا من قرآننا الكريم فإن الزبور آتاه الله داود بمعنى أنه أوحى به له. فإذا كان الزبور كذلك فإن المزامير ليست وحياً من الله إنما هي كلام كان يقوله داود ﷺ شعراً. والقلة القلة من المزامير يتناسب لفظها ومعانيها مع حال النبوة. ولكننا لا نجزم بأن هذه القلة القليلة من الزبور والله أعلم.

السحر واستخدام المزامير لضرر الناس

عُرف عن اليهود اهتمامهم البالغ بالسحر. وعلى مر التاريخ اعتقدوا أن النبي موسى عليه السلام ما كان لينتصر على فرعون وسحرته لولا قدرته على الإتيان بمعجزات هي أشبه بالسحر، خاصة بما يتعلق بعصاه أو بيده التي أصبحت بيضاء حين أمره الله أن يدخلها في جيبه ويخرجها.

وتأتي قصة السامري الذي أخذ من أثر الرسول جبريل حين خروج بني إسرائيل من مصر، ومن ثم صناعته للعجل الذي عبدوه لتفتح أمامهم أحد أبواب السحر اعتماداً على بعض نصوص التوراة.

ثم يأتي تعلقهم البالغ بالسحر حين ظنوا أن النبي سليمان حكم الجنّ بسحره. وقد أورد القرآن الكريم مقالتهم في ذلك، وفنّد مزاعمهم التي ادّعت أن سليمان كفر لأنه استخدم السحر في الوصول لحكمه على القوى غير البشرية.

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة 102].

فاليهود اتبعوا الشياطين، يتعلمون منهم السحر ليفسدوا بين الناس، وقد عرف التاريخ اليهودي مسيرة استخدامهم السحر وتسخير كتبهم الدينية لأجل ذلك.

وقد عُرف عنهم استخدامهم لمزامير داود لتُسخر في السحر ظناً منهم أنها تضر وتنفع وهذا ما ينافي الزبور الذي آتاه الله للنبي داود عليه السلام. فليس يعقل أن يُسخر داود كتاب الزبور للسحر الذي يضر بالعلاقة بين الناس ويفسدها، وإنما درج بعض أحبار اليهود

والعاملون بالسحر على استخدام المزامير المنسوبة لداود كأداة من أدوات السحر .

وقد ظهر كتاب تحت عنوان (استخدام المزامير في عمل السحر) وكان مخطوطاً باللغة العربية حققه وشرحه وترجمه إلى الفرنسية (نسيم هنري حنين) و(يتاري بيانكي) وطبعه المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة . يتناول هذا الكتاب استخدام المزامير في السحر . ولما كان عدد المزامير هو مئة وخمسين مزموراً فإن هناك مئة وخمسين استخداماً سحرياً . وتزيد النسخة القبطية لكتاب المزامير مزموراً آخر لتصبح مائة وواحد وخمسين مزموراً . والمزمور الزائد هو أقوى المزامير في السحر كما يقولون .

في المزمور الثاني المعنون بـ : لماذا ارتجت الأمم .

يعلق عليه بالتالي : إذا كتب في ورقة ويعلق على ذراع من تريد فإنه قبول عظيم ومن كان له أعداء يقرؤه كل يوم عند طلوع الشمس على ماء ويستحم به أيضاً عند طلوع الشمس ثلاثة مرات ويذكر أسماءهم فإن الله يخلصه منهم .

في المزمور الثالث : يا رب لماذا كثر الذين...

إذا قرئ على دهن ورد وتدهن به الرأس الموجوعة فإنها تبرأ . يقرأه قبل طلوع الشمس على ماء وزيت ويغسل وجهه ويديه فإنه يغلب أعداءه .

وإذا قرئ على قدح ما من حمام النساء ثلاث مرات واقلبه في دار من كان بينهم السحر والخصام فإنهم يصطلحون ويزول الشر من بينهم .

في المزمور الرابع : إذا دعوتك يا رب .

تقرأه على قليل من طوبة 7 مرات يوم السبت وأنت صائم وترش في البيت فإنه يمتلئ من الرزق وتحل فيه البركة .

وإذا عملت وليمة تقرأ المزمور 3 مرات بكماله على جرة خمر وخبز تحرك الجرة فإن الله يبارك فيهم ولا يعوزك إلى شيء بقدرته .

ويلاحظ أن هذه المزامير التي ورد ذكرها تستخدم في قضايا غير ضارة ، ولكن هناك مزامير تستخدم للشر على مستوى الفرد وعلى مستوى الجميع ، ومنها المزمور 19 الذي يعنون ، اعترف لك يا رب من كل قلبي .

فيقول: إذا أردت هلاك أحد فاقرأ المزمور 30 مرة كل يوم 3 مرات على اسمه واسم أمه فإن الله يهلكه دون الشهر (للمريض).

ومن ذلك أيضاً استخدام الخمر في المزمور العاشر، حيث يقول: إذا كان إنسان مسقى سماً فيملأ كأس خمر ويقرأ عليه المزمور ثمانية مرات، ويكون قد كتب هذه الأحرف في إناء مدهون أو إناء زجاج وإذا فرغت من قراءته تسكب عليه الخمر واغسله واسقيه منه فإنه يبرأ بإذن الله.

وقد نهى الإسلام عن استخدام النجس في المداواة.

ويقول: إذا كان لك عدو اكتب المزمور إلى عند قوله نار وكبريت وريح عاصف وادفنه في مقدم دار عدوك فإنك تنال منه مقصودك بإذن الله.

ويقول: إذا أردت فتح دكان أو مشغل فاقرأ المزمور 13 على كأس خمر من رأس الجرة واكتبه في قدرة واعمل في فم القدرة مرسين أخضر واقرأ عليه المزمور سبعة أيام كل يوم ثلاث مرات وأنت طاهر وتستحم بالماء التي بالقدرة وتوجه لمن تطلبه فإن الله تعالى يقضي حاجتك ويسهل عليك الأمور بقوته.

لقد أردنا من تلك الفقرات الإشارة إلى استخدام المزامير في السحر لنبين أن زبور داود كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى ولا يجوز استخدامه في السحر، خاصة ذلك السحر الذي يؤذي.

ولم يتطرق المفسرون المسلمين إلى حديث ولو عابر عن استخدام زبور النبي داود عليه السلام في غير مرضاة الله. والسحر كما هو مجمعٌ عليه عمل خارج عن أوامر الله ونواهيه، لكن اليهود عُرفوا بأنهم استخدموا السحر واستمروا به حتى يومنا هذا.